**المحاضرة رقم:1 –التحولات العامة للجزائر أواخر العهد العثماني.**

إن دخول العثمانيين الجزائر أساسا كان بطلب من أهلها ذلك لمنع الإسبان من دخول الجزائر وقد عملوا على ربط مصيرهم في الغالب بمصير أهل البلاد وقاموا بالتحالف معهم تحالفا سياسيا وعسكريا ،فمثلان القلاع و الثكتات والرباطات تعززت بالجنود الجزائريين الذين خاضوا حروب الجهاد فيالبر والبحر جنبا إلى جنب مع العثمانيين كما تحالفوا معها في الداخل لتوطيد الامن والإستقرار.

وبذلك شهدت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني مرحلة التوتر وتدهور في الأوضاع سواء الإقتصادية والثقافية والإجتماعية وحتى السياسية.

**الأوضاع الإقتصادية**:

يمكن دراستها من خلال تحدثنا عن الأوضاع الزراعيةفكان سكان الريف الجزائري في أواخرالعهد العثماني يعانون من المجاعات والأمراض وذلك لأن العلوم لم تكن متطورة تحديدا الطب ولهذاانتشرت أغلب الأمراض والأوبئة حتى مرض الطاعون والذي لم تستطع السلطات المحلية الوقاية منه أو معالجته، كما كانوا يعانون من النكبات الطبيعية التي سببت الجفاف رغم هذا كان هناك مساحات من السهول التلية وهي أراضي خصبة صالحة للزراعة ونذكر منها سهل وهران.الذي يتميز بالتساعه وخصوبة وسهل متيجة الواسع الذي يحيط بالعاصمة ،والذي اشتهر بالبرتقال و العنب وقد كان هذا الأخير يتميز بمزارع عديدة للدولة واخرى خاصة وهذاحسب ما ورد عن أبو قاسم سعد الله "انه كان للدولة حوالي ثلاثة عشر مزرعة في متيجة يحتوي كل واحد منها على 60أو80 زوجا من البقر ووهي التي توفر الحليب والزبدة والجبن وقد كان هناك عمال زراعيون يأخذون خمس المحصول كما أن سهل متيجة كان غير صحي لوجود المستنقعات".

**\* ملكيات الأراضي:** يعتبر النشاط الزراعي المورد الرئيسي لمعظم السكان ،ويقوم على نظام الملكية الخاصة ملكية الدولة و الأراضي المشاعة والموقوفة.

**-**الملكية الخاصة**:**وهي قليلة ولا تكاد موجودة إلا في ضواحي المدن وهي شبه اقطاعية يستأجر المالك فلاحا ويجفع عنه ديونه إن كانت موجودة حتى يصبح في خدمته ويعطيه بقرة او بقرتين حسب الإتفاق.

-أراضي العرش**:** وهي الأراضي التابعة للقبائل غير المقونة مع السلطة العثمانية وهي في غالبها أراضي جبلية وصحراوية مخصصة للري.

**-**الأحباس واملاك الدولة**:** تشرف على تسيرها المصالح الادارية لمساعدة قبائل المخزن وفي بعض الأحيان تعطى هذه الأراضي الأفراد أو قبائل تشغلها مقابل أجر يتفق عليه

-أراضي الوقف**:**وهي التي حسبت للانفاق على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينيةو التصرف فيها لناظر الأوقاف وجملة من المساعدين وقد انتشرت الأوقاف في أواخر العهدالعثماني وتركزت في المدن الكبرى ولم تكن تتعرض لاي مصادرة أو حجز نظرا للأحكام الشرعية المتعلقة بها.

**-**أملاك الباي**:**تعتبر ملكية خاصة وتضع أحسن الأراضي المسقية والصالحة للزراعة وتكون فلاحها بواسطة السخرة "التويزة".

أما الغابات:فقد انتشرت على مساحات شاسعة من الوطن سواء في الجهات الشرقية أو الغربية مثل غابات جيجل،عنابة،القل،تلمسان وغيرها

ب/تقنيات و أساليب العمل البدائية: رغم ادخال الأندلسيين عبر هجمالامم المختلفة للجزائر لزراعات جديدة وتطويرهم لوسائل الري ،إلا أن الزراعة نالت تعمد على الأدوت التقليد مثل المنجل والمجرفة والمشط للزراعة والحفر والشوكة للنقل...الخ

بالإضافة إلى إنشاء السواقي في الفترةالأولى للعهد العثماني فإن أوضاع الفلاحة لم تتطور فاقتصر الفلاحونعلى استعمال الآلات البسيطة التي أصبحت منذ أواخر القرن 18 لا تعدى المحراث الخشبي، المنجل... إلخويضف أبو قاسم سعد الله في أحدى دراساتهأنه توجد فرشاة لجمع بقايا الزرع كما كانت هناك مخابىء تحت الأرض للأحتفاظ بالحبوب من فصل إلى آخر

ب/:المنتوجات الفلاحية:لقد توفرت الجزائر في العهد العثماني على محاصيل زراعية متعددة كالحبوب التي اختلفت نوعيتها من جهة إلى آخرى مثلا يصف لنا حمدا خوجة قمح متيجة الردىء فيقول"إنه منه أحط أنواع القمح لكونه داكن ،ونشاؤه قليلولا يمكن الإحتفاظ به أكثر من سنة واحدة سرعة تعرضه للإنحلال والتلف"

يعتبر الشرق الجزائري من أكبر المناطق المنتجة للقمح الصلب، كما كانت تنتج كميات من الأرز وزراعة الكتان والتبغ والكروم والزيتون وما إلى ذلك. وقد قدرت مساحة الأراضي المنتجة للحبوب التي يميلها البايلك الشرقي أواخر العهد العثماني بما يعادل 4800جايدة وبايلك الغبر بما يناهز 3500جايدة.

والملاحظ أنه:وفي الفترات الأخيرة في العهد العثماني تميزت بقلة المحصول ورداءة الإنتاج والعنف ولقد تعرضت الإيالة إلى تعويض بعض الزراعات المختلفة كالتيين والبرتقال وعنب.

د/: الثورة الحيوانية :لا يمكن حصرها لأن السلطات آنداك لم تكن تكن تهتم بالإحصائيات ولكن يمكننا أخذ نظرة عليها كما ذكر محمد العربي الزييري في أحد دراساته:"إن البقرة كانت تباع بريالين وصار القمح بريال ونصف"

فالحقيقة ان الجزائر كانت تحافظ على سلامة نقية من الحيوانات مثل الأبقار و الأغنام والماعز والخيول والدليل على ذلك قدرت الإحصائيات الأولى للجيش الفرنسي عدد الحيوانات في السنوات الأخير للعهد العثماني حسب التقرير التالي :6.850.205 رأس غنمو3.384.902رأس ماعزو1.031.738رأس بقر......

كما يضاف إلى هذه الثروة الحيوانية كانت تتوفر عليه السواحل الجزائرية من الأسماك التي لم يقبل على استهلاكها سكان المدن والجهات الساحلية وبالتالي لم يتشجع الصيادون على توسيع نشاطهم الذي اقتصر على كميات صغيرة من السمك ومقادير متواضعة من المرجان.

خلاصة القول:إن الأوضاع الزراعية في الجزائر أواخر العهد العثماني يمكن القول أنه على الرغم من خصوبة الأراضي الجزائرية وتوفر على عدة محاصيل زراعية بالإضافة إلى الثورة الحيوانية إلا الفلاح الجزائري ظل يعاني من ظروف صعبة تمثلت في :

الآفات الطبيعية كلأوبئة والمجاعات والقحط والجراد-نقص المطلب المالية المفروضة عليه.

الأوضاع الصناعية: يمكن حصر الصناعات الجزائرية في العهد العثماني في النشاطات الصناعية التالية:

\*صناعة السفن:وقد تشجع عليها نشاط البحرية الجزائرية وتطور عمليات الغزو البحري إذكانت أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع السفن والقوارب حيث يتم صنع سفن تتجاوز حمولتها 300طن وهي من نوع الفرقاطات المجهزة ب:20إلى30مدفعا.

\*صناعة الأسلحة :تتمثل في صنع البنادق وسك وتحضير البارود وقد كانت تتم في المدن الكبرى وقلعت بني راشد وقسنطينة والجزائر ولقد كانت صناعة البارود من المهن التي امتدنها الجزائريون ودليل ذلك: ما أورده فيرو حول تزويد الأمير عبد العزيز سلطان قاعة بني راشد ببارود المكاحل

\*صناعات التحويلية :تتعلق بتجهيز البناء وتذويب المعادن كالحديد والفضة والزنك و استخراج الملح وصناعة العملة وهي تنشهر بالمدن الكبرى.

\*الصناعات الغذائية تتوزع على أفران الخبز ومطاحن الدقيق وعصر الزيتون وقد تميزت هذا النوع من صناعات مدينة الجزائر إذاحتوت من ظافران و مطاحن.

\*صناعة الصابون:اختص بها بعض المدن كقلعة بني راشد وبوسعادة وبلاد القبائل وقداختص سكان جرجرة بتحضير نوع من الصابون الأسود الذي يتكون من :نفايات الزيتون ورماد شجر لدفلة.

\*صناعة النسيج:وقد تطورت على أيدي الأندلسيين واشتهرت في الكثير من المدن :كعنابة ،قسنطينة وتلمسان

\*صنعة الجلود:أهمها صناعة الأحذية في قسنطينة والجزائر وتلمسان ومازونة وقلعة بني راشد ومستغانم/

\*صناعة الشاشية والتطريز: حرفة بهذه الصناعة مدينة الجزائر وقد ازدهرت الشاشية الحمراء الجزائرية ،نظرا لإعتناء العائلات الأندلسية بها وتوارث مع طريقة صنعها صناعة .

\* صناعة الحلي والأحجار الكريمة:وقد اختص بها أفراد الجارية اليهودية وبعض الحضر من الأندلسيين والكراغلة.

\*\*أهم الحرف والأسواق:حرفة النجارة،الحداد،الصفار،الشقماجية،الحواكون،الففاريون...الخ

أهم الأسواق :سوق الحديد العزل،العرارية،السماريين،الفخاريين،العطاريين،النجاريين،الخبازين.

ج/:صفات وخصائص الصناعة التقليدية الجزائرية:

\*الإعتماد على الموارد الأولية المتوفرة كالأصواف والجلود والأخشاب

\*خضعت الصناعة في المدن لللمراقبة والتحكم من طرف الهيئات المهنية

\*غلاء الأسعار المصنوعات الجزائرية وعدم انتهاج السلطة السياسية الحماية الجمركية والعمل على تشجيع الإستيراد الخارجي

\*لم تتجه الصناعات الجزائرية إلى التصدير الخارجي إنها اقتصرت على تلبية حاجيات السكان

\*اتصفت ببساطها وخشونة أسلوبها بالنسبة لصناعة الأرياف فهي موجهة لسد حاجيات الضرورية وارضاء متطلبات العيش.

\*تسبب في إنخفاض مستوى معيشة سكان الأرياف ،ففي الوقت ارتفع فيه دخل سكان المدن وذلك لغلاء الموارد المصنعة وإنخفاض أسعار الموارد الأولية الزراعية التي كانت المصدر الرئيسي للفلاحين

"كخلاصة القول":ان الجزائريين والقسنطنيين منهم على وجه الخصوص لم يكونوا يعرفون البطالة قبل الإحتلال أن اليد العاملة المحلية كانت تجد الشغل المناسب لها في أحد المجالات المذكورة أو في ميادين الفلاحة.

ومن ناحية آخرى يمكن القول أن الضرائب وتحكم الهيئات المهنية في الصناعة كانا من العوامل التي عاقت التطور الصناعي في الجزائر في العهد العثمانيبالإضافة إلى الخارجية :الرسوم الجمركية على الواردات والغنائم التي يحصل عليها رياس البحر من الغنم والفدية التي كانت تدفع نظير تحرير الأسرى والهدايا التي كانت تقدم إلى الباي......وهي التي جعلت الإيالة تعيش في خائفة مالية مما جعلها تتجه إلى تعويض المداخيل آخرى داخلية يتحمل أعبادها للسكان

ومن الناحية آخرى يلاحظ أن الضرائب المفروضة على السكان في الأرياف كانت غير قادرة وليست محددة لا في الكمية ولا النوعية وهذا ما جعل منها ضرائب مجففة في حق السكان زادت في بؤسهم و شقائهم.

3/أوضاع التجارة :يذكرها يد وان التجارة أو التجار يمثلون الطبعة لخامسة من سكان الجزائر وهم كانوا في البداية من الإنكشارية أوالبحارة أو الأندلسيين وتمثل تجارتهم عموما في الحبوب والأبقار والأغنام والصوف والجمال والزيت والزبدة والحريرو الشمع والعسل وغير ذلك

لكن الوضع اختلف فيما بعد فأصبح يسيطر على النشاط من التجار الأجانب في مقدمتهم اليهود

**أنواع التجارة :**

\*تجارة داخلية :وتتم في الأسواق المحلية أو الجهوية في الجوانب وتناول كل ما يحتاج إليه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية كانت أو مستورة وكانت المقايضة هي أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجارة لان النقود الذهبية لم تكن منتشرة ولان المستهلك يفضل لحصول عل كل ما يحتاج إليه مباشرة.

\*تجارة خارجية: تتم مع أروبا عن طريق الموانى بواسطة الأحباب وعدد قليل من الجزائرين ومع إفريقيا عن طريق القوافل ومثال ذلك :تجارة الجزائر مع السودان،ونلاحظ أن معظم التجارة الخارجية كانت تتم عبر أيدي أجنبية مثل الشركات الفرنسية كالشركة الملكية الفرنسية تتمتع بامتياز تصدير الحبوب والصوف كانت مرسيليا من أهم المدن التي تستقبل المنتوجات الجزائرية وكما كانت الشركات الفرنسية تتمتع برخصة صيد المرجان.

**من أهم مميزات التجارة:**

الموقع تعتبر الجزائر منطقة عبور وملتقى لتجارة السودان وأوروبا ومكانا لمقايضة بضائع المغرب العربي والأقطار العثمانية .

تشجيع الحكام لتبادل التجاري وذلك حتى يتحكموا في القبائل التي ظلت متمتعة عن سلطتهم ،فعند ما تضطرها الحاجة سوف تلجأ للمبادلة إنتاجها الحيواني والزراعي.

إذا اقدمت القبائل على تشويش الأمن العام فإن القبائل الآخرى تنضم إلى الأتراك لمحاربتها وقلما يلجأ هؤلاء إلى قوتهم الحربية ،وإنما يفضلون المسالمة لبلوغ الأهداف التي وضعوها لأنفسهم والدليل على ذلك أنهم عندما يخضعون قبيلة عدوة تستسلم تلك القبيلة حيث يستقبلونها بحفاوة و يعيدون إليها ما أخذ منها أثناء الحرب ويعوضون لها الأشياء المتلفة ولقد كانوا يبرهنون لمثل هذه القبيلة على ثقتهم بها ويدفعونها إلى أن تعيش هادئة.

كل هذه العوامل والأوضاع ساهمت في خلف وضعية ديمقراطية بنسبة 95بالمئة من سكان الأرياف والباقي النسبة للمدن .

حيث درج الكتاب والمؤرخون في حديثهم عن التركية السكانية في الجزائر العثمانية التركيز على في المدينة الجزائر أولا ،والإعتماد على ترتيب الفئات الإجتماعية من حيث الجاه ،السلطة ،النفوذ فنجد الترتيب كالتالي:

\*\*فئة الأتراك :تتألف من الإنكشارية ويشكلون القوات البرية ورياس البحر ويشكلون رجال البحرية.

\*\*الكراغل:وهم نتاج زواج الأتراك بالنساء الجزائريات ،أبعدوا عن تقليد المناصب العليا في الإدارة والحكم بعد الثورة التي أقاموا بها سنة 1661.

\*\*العلوج :الأعلاج من جنسيات مختلفة إعتقلوا الدين الإسلامي فأصبحوا أحرار.

\*\*الحضر:يسمون بالبلدية وهم السكان الأصليون "أهل البلدة"

\*\*الأندلسيين :المرسكليون :الذين نزحوا إلى الجزائر بسسب الإظهاد الإسبان ومحاكم التفتيش وهم فئة ممتاز لعبت دورا على كافة المستويات ونظرا للمهارات التي كانوا يتمتعون بها.

\*\*البرانية:تضم الميزابيين ،البسكريين ،الأغواطيين ،القبائل،النزوح، اليهود كانوا يستغلون في صناعة الصباغة،بالإضافة إلى الأعمال الشاقة مثل كسر الحجارة وشق الطلرقات ....إلخ

\*تنوع المناخ أدى إلى تنوع المحاصيل واتلاف نمط الحياة من منطقة لأخر وإلى تبادل تنشيط التبادل التجاري وخلف نوع من التكامل الإقتصادي

\*كان للأندلسيين دور المشاركة الفاعلة في تدعيم النشاط التجاري.

\*الإمتيازات التجارية الأجنبية والتي تعود أصولها إلى عدة تقنيا ،اتفاقيات ثنائية بني الباب العالي والدول الأروبية منها:معاهدة سلمان القانوني وفرنسو ملك فرنسا عام 1535.كل هذه الإتفاقيات الدبلوماسية ذات الطابع التجاري مع ضعف الدولة العثمانية والزيادة قوة الدول الأروبية إلى حقوق مكتسبة لا يمكن لللطنة العثمانية وولاتهم في الأقاليم فسخها أو انقاص صلاحياتها.

يمكن القول أنه كان للإستيلاء اليهودي والفرنسي على التجارة الخارجية ومحاولة المسيحين السيطرة على البحر عواقب وخيمة على الجزائر ذلك أن:

القرصنة التي قام بها الطرفان والتي كانت تنتهي بأمر المواطنين من الجانبين فقد كان على المسيحين كما كان على الجزائر أن تدفع أموالا طائلة لفدية أسرها وقد كان الوسطاء سواء كانوا يهودا أو مسيحيين يحصلون على 40بالمئة من مبلغ الفدية ومن خلال هذه الوضع بات الفلاح الجزائري هو الضحية لأن الحاكم يشتري إنتاجه بأرخص الأثمان ويبيعه بأثمان مربحة لليهود الذين يبيعونه يدورهم بأثمان عالية في مرسيليا فتكون النتيجة ثراء الحكام واليهود على حساب الفلاح.

\*إذ كانت الجزائر العثمانية قد وجدت طبقة من الجزائريين الحضر الذين كانوا يشتغلون بالتجارة ولهم بعض رؤوس الأموال فإن هذه الطبقة قد زحزحت أثناء الحكم الفرنسي وأصبح المسيطرون على رأس المال المحلي هم المستوطنين الكولونياليون.

**الأوضاع السياسية :**

تميزت بالإضطرابات والفوضى حتى شهدت المصادر المحلية و الأجنبية على أنها غلبت عليها حالة من التعسف والإجحاف والظلم القاسي،حيث أن بعض الحكام اتصفوا بالعدل والتدين والذكاء والعطف والحرص على المال العام للجزائر ،كما أن هناك حكام مستبدين طغاة كانوا يسلبون المال العام ويذهبون به.

كما نجد نظام الحكم كان يختلف من فترة الأخرى ومن شخص لآخر خاصة أن نظام الحكم السياسي العام جمهوري عسكري مغلق لأن منصب الحاكم العام إنتخابي وليس وراثي و عسكري فالحاكم كان من عسكرين هو مغلق فالنظام نجده لا يسمح فيه إلى الأوياف وممارسة السلطة خاصة أن انتقال السلطة من حكم لآخر كان يتم بالعنف الشديد وأحيان بوحشية

فضلا عن ذلك فرضت الدولة العثمانية العزل عن البلاد خشية تسرب الأفكار السياسية والإقتصادية والفكرية التي كانت ساندة في أوروبا في ذلك الوقت كان العثمانيون يعتقدون أن سياسة العزل هذه كغيلة بان تبعد أطماع الدولة الأوروبية عن ولايتها الجزائر.

**الأوضاع الإجتماعية :**

كان الوجود المسيحي واليهودي في الجزائروزوح الأندلسيين والتزاوج بين الأتراك والجزائريين ان أثرفي نسبة حواضر الجزائر مع مطلع القرن 16 ،حيث شهدت هذه الفترة نزوح السكان للمناطق الجبلية إلى المدينة بعدها إزدهرت وعرفت الإستقرار في عهد خير الدين بربروس وما جاء بعده أما هجرة الأندلسيين التي كانت بسبب الهروب من حجم الاسبان ومحاكم التفتيش البغيضة بالإضافة إلى التزاوج بالأتراك والجزائريين كل هذا أثر بشكل كبير على نسبة المجتمع الجزائري كما تاثرت أريافها بالأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعة مثل :مرض الطاعون 1752،1750،والقحط والجفاف التي كانت نتائجها وانعكاساتها مادية ونفسية انعدام الامن وظهور المجاعات والجفاف مثل:1787،1663،1584،زيادة الصراعات ببني القبائل الجزائرية نتيجة للسياسة التركية مثل :قبائل المخزن والقبائل الممتنعة.

**الأوضاع الثقافية :**

بالنسبة الى الجانب الثقافي كان يعاني من التدهور والسبب راجع إلى الحكومة العثمانية التي لم تهتم بالتعليم،فكانت المدارس قليلة للغاية والتي تركزت بالزوايا والكتاتيب وقد نتج عنها سياسة الجهود والعزلة التي اتبعتها الدولة العثمانية مما ولد عنها انعدام ابتكار في التأليف واهملت دراسة العلوم العصرية الطبيعية كالكمياء و الرياضيات والطب والتي غلب عليها طابع العلوم الدينية وعلم اللغة هي السائدة .

**المراجع المعتمدة:**

- أبو القاسم سعد الله :خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير،1830-1962 ، د غ إ ،بيروت ،2007 .

- حمدان بن عثمان خوجة : اتحاف المنصفين في الإحتراس من الوباء ت.ت.محمد بن ع الكريم ،

- نصر الدين سعيدوني:الجزائر في التاريخ العهد العثماني.

- حنيفي هلايلي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني .

- يمينة درباش:السكة الجزائرية في العهد العثماني،مذكر نيل شهادة الدكتوراه ،معهد التاريخ جامعة الجزائر (1987-1988)

- حنفي هلايلي :أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلس

- أبو قاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت 1998.

- حمدان خوجة المرآة تق ،تح محمد العربي الزييري ط1، الجزائر 1982.

- حلمي محروس إسماعيل :تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية 1 ،مؤسسة شباب الجامعية الإسكندرية ،2004.

العلوي محمد الطيب: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر1954، ط1، دار البعث ، قسنطينة، 1985

هلال عمار: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830 -1962 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995